الرهائن السياسيون في عهد خلفاء الأمير عبد الرحمن الداخل حتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (١٧٢-٢٣٨ هـ/٧٨٨-٨٥٢م).

توفي الأميرُ عبد الرحمن الداخل في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (١٧٢هـ/٣٠ سبتمبر ٧٨٨م) [٢٦٤] فخلفه ابنه هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) وقد عادت العلاقات السيئةُ بين الأمويينَ والكارولنجيينَ إلى الظهورِ في عهده من جديد، فكانت الدولة الكارولنجية ما تزال تنتهج سياستها القديمة تجاه الأندلس وهي انتهاز الفرص للنيل منها فكانت تشجع الثوار والخارجينَ على الحكم الأموي[٢٦٥] في حين أن الأمير هشام كان يري أن واجب الجهاد المقدس يفرض عليه القيام بالغارات المستمرة على أعدائه، وبدأ في تحريض المسلمين على مواصلة الجهاد وإعلاء كلمة الإسلام وعمدَ على إشغال المسلمين في الأندلس عن الفتن الداخلية بحثهم وتشجيعهم على الجهاد، واسترجاع ما فقد من البلاد على يد شارلمان[٢٦٦]، فكان كأبيه يقدر خطورة الدسائس الإفرنجية[٢٦٧]، وفي سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٣م) استعد الأمير هشام لمحاربة الفرنج فسير جيشاً إلى الشمال بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا أربونة وجرندة فبدأ بجرندة وكان بها حامية الفرنج

(٢٦٤)ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٨٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٨.
(٢٦٥)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢١١ ؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٨٩.
(٢٦٦) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٨٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٣٩١.
(٢٦٧)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٢٦.

فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وتوغل في بلادهم(٢٦٨)، وكان شارلمان مشغولاً آنذاك بمحاربة قبائل السكسون والأفار بعيداً عن فرنسا، فنهض ابنه لويس ملك أكتوين لصد هجمات المسلمين، فالتقت قوات الفرنجة بقيادة جيوم كونت طولوشة(٢٦٩) مع قوات الجيش الإسلامي بقيادة عبد الملك بن مغيث في موقعة بين قرقوشة وأربوبنة على ضفاف نهر أوربيو " أوربينا" في مكان يسمي " فيل دنى" Villedaigne، فحلت الكارثة على الجيش الفرنجي الذي خسر أعداداً كبيرةً من القتلى والأسرى الذين اقتيدوا بالآلاف إلى قرطبة(٢٧٠).

هذا مع الإفرنج أما مع الممالك النصرانية في الشمال فسادت العلاقات الحربية بصورة عامة، حيث كانت الحملات العسكرية العربية تزداد كثافة باتجاه الشمال، كلما كانت الأحوال الداخلية مستقرة، والأوضاع هادئة في الأندلس، فيتفرغ الأمراء لمكافحة الخطر الخارجي(٢٧١) حيث لم تمكن الأحوال الداخلية الأمير هشام في بداية عهده من استئناف الجهاد ضد الدويلات الإسبانية، فأنشغل بمحاربة أخويه سليمان وعبد الله الطامعين في الحكم، وانتهز الفرصة سعيد بن الحسين الأنصاري في طرطوشة، ومطروح بن سليمان والي برشلونة وأعلنا الثورة في الثغر الأعلى وذلك في سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)(٢٧٢)، فتوقفت الغزوات ضد النصارى في الشمال حتى شاع بين الناس أن المسلمين غير قادرين إلا على قتال بعضهم بعضا،

(٢٦٨) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٩٧.
(٢٦٩) عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢١٧؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٩؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٩٠.
(٢٧٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٢٧ ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢١٧؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٩؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٩٠.
(٢٧١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤١.
(٢٧٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٨٨؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٣٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٣-٣٥٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٩١.

وأفتي بعض الفقهاء بعدم جواز تأدية الخراج لأمراء لا يعرفون إلا قتال مواطنيهم المسلمين، وكانوا يضربون الأمثال في خدمة الإسلام بخلفاء بغداد الذين كانوا يواصلون غزو القسطنطينية(٢٧٣).

وذلك في الوقت الذي اشتد فيه ساعد نصارى الشمال، وأصبحوا يكثرون من الإغارة على البلاد الإسلامية والعيث فيها، ويشتد عدوانهم كلما اضطرمت الأندلس بالفتن الداخلية، وشغلت حكومة قرطبة عن حمايةِ الأطراف النائية. وكان الفرنجُ جرياً على سياستهم المأثورة، يشجعون النصارى من البشكنس والجلالقة على مواصلة التحرش بالمملكة الإسلامية، وكان هشام كأبيه يقدر خطورة هذه الدسائس الإفرنجية، وتحدوه من جهة أخرى نزعة قوية إلى الجهاد والغزو، فما كاد ينتهي من القضاء على الثورة الداخلية حتى أعلنَ الجهاد وعبا جيشا سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) قوامه أربعين ألف مقاتل جعل على رأسه قائده أبا عثمان عبيد بن عثمان وسيره إلى ألبة والقلاع، فمضي الجيش حتى وصل وادي ابره وصعد مع النهر حتى ألبه، حيثُ التحم مع النصارى بقيادة ملكهم برمودو(برمند) وحلفائه البشكنس وفرق جموعهم وقتل منهم تسعة ألاف ثم عاد إلى قرطبة محملا بالغنائم(٢٧٤).

وأخرجَ الأمير هشام جيشاً في العام نفسه (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) على رأسه يوسف بن بخت وتوجه إلى جليقية واشتبك مع جيش برمودو فنجح في هزيمته وقتل منه ما يزيد على عشرة ألاف مقاتل (٢٧٥)، بعد هذه الهزيمة خشي برمودو على مستقبل المملكة فتنازل عن العرش مختارا

(٢٧٣) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص١٢٦.
(٢٧٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٨٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٢٦ ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثرهم في الأندلس، ص٢١٦.
(٢٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٨٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٠٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٢٦.

لصالح ألفونسو الثاني (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م)، فجرد إليه الأمير هشام حملة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث اخترقت ألبة والقلاع وأثخنت في نواحيها (٢٧٦).

وتوالت حملات الأمير هشام على جليقية في الشمال، فقد سيرت الدولة حملات في كل صيف تقريباً في عهد هشام، وحققت انتصاراتٍ كبيرةً على إمارة جليقية (٢٧٧)، ورغم كثرة هذه الحروب إلا أن الروايات لم تحدثنا عن اتخاذ رهائن بين الجانبين.

وفي الواقع يعتبر الأمير هشام من أنشط الأمراء الأمويين في مجال الحروب مع النصارى إذا ما أخذنا في الاعتبار عدد الغزوات التي قام بها في المناطق الشمالية بالنسبة إلى مدة حكمه والتي لم تتجاوز الثماني سنوات (٢٧٨).

وخلفه ابنه الحكم الربضي سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، فاستأنف عمليات الجهاد والغزو ضد الفرنجة، الذين كانوا يتدخلون في شئون الأندلس بطريقة غير مباشرة وذلك عندما تفشل حملاتهم على حدود الدولة الإسلامية، أخذوا يعمدون إلى تشجيع الثوار بتقديم المساعدة وبذل العون وذلك مثلما حدث مع عبد الله البلنسي عم الحكم بن هشام، الذي ثار مع بهلول بن مرزوق في سرقسطة سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م) واتفقوا على التحالف وطلبوا مساعدة الفرنجة(٢٧٩)، ولقد ذهب عبد الله البلنسي لمقابلة شارلمان في إكس لاشابل Aix -la-Chapelle.لالتماس عونه، فلم يترك شارلمان هذه الفرصة ووافق على مساعدة عبد الله البلنسي وحلفائه، وجهز جيشا بقيادة ابنه لويس فعبر البرنيه واستولى على جيرندة، وتوغل في مدن

(٢٧٦) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٩٦- ٢٩٧ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٠٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٢٦.

(٢٧٧) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤٢.

(٢٧٨) خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص١٢٣.

(٢٧٩) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص١٢٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣١٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٩ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٩.

الثغر الأعلى بمساعدة الثوار، وفي ظل هذه الظروف أظهر الحكم نشاطاً وحزماً وسارع بالمسير باتجاه الشمال لمواجهة الفرنجة واستطاع رد خطرهم وباءت محاولاتهم بالفشل(٢٨٠)، فلم يكد الأمير الحكم يلتقط أنفاسه بعد قضائه على ثورة عميه الطامعين في الحكم عام (١٨٦هـ/٨٠٢م) حتى اغتنم الفرنجةُ الفرصة وقصدوا مدينة برشلونه واستولوا عليها سنة (١٨٥هـ/٨٠١م) فأصبحوا يهددون كيان قرطبة باستيلائهم عليها، وخسرَ الإسلامُ بفقد برشلونة أمنع ثغوره في قاصية إسبانيا، وارتدت حدود الأندلس إلى الثغر الأعلى، بعد أن كانت تجاوز جبال البرنيه(٢٨١)، ولقد شجع سقوط برشلونة الفرنجة على المضي قدما في اعتداءاتهم تجاه المسلمين، حيث أرسل شارلمان ابنه لويس على رأس جيش لمهاجمة الثغر الأعلى ومحاصرة مدينة طُرطوشة Tortosa على الساحل جنوبي برشلونة سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) غير أن الأمير الحكم أرسل جيشا إلى الشمال بقيادة ولده عبد الرحمن نجح في إرغام الفرنج على الارتداد، ولكن لويس عاود مرة أخرى سنة (١٩٣هـ/٨٠٩م)، فوصلت أخبار هذه الحملة للحكم الذي جهز جيشا بقيادة ابنه عبد الرحمن الذي نجح في هزيمةِ الفرنجةِ هزيمةً ساحقةً وتم فكُ الحصار عن طرطوشة(٢٨٢).

وقاد الحكمُ بنفسهِ حملة ضد الفرنجة سنة (١٩٦هـ/٨١١م) فتوغلَ في بلادهم، وأفتتح الثغور والحصون وأكثر فيهم القتل والسبي وعاد إلى قرطبة منتصرا (٢٨٣)، وعلى الرغم من هذه

(٢٨٠) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣١٤ ؛ العدوي: المسلمون والجرمان،ص٢٥٦.
(٢٨١) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٢٢، ٣٢٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢١٢؛ ابن خلدون: تاريخه،ج ٤، ص ١٦٢، ١٦٣ ؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩ ؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٣٦.
(٢٨٢) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص١٧٢، ١٧٣.
(٢٨٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٤٠.

الحملات إلا أن المسلمين لم يحرزوا فتوحات ثابتة وشعر الفريقان بسلبية هذه الحملات، ففضلوا السلم والمهادنة (٢٨٤)

ونجد أن الأحوال الداخلية المتردية في عهد الأمير الحكم كان لها دورٌ كبيرٌ في مجال علاقته بنصارى الشمال، وهي تفسر لنا سبب ضعف الحملات التي وجهت نحو الشمال الأسبان، حيث انشغال الأمير الحكم بثورة مدينة ماردة التي استمرت سبع سنوات من عام (١٩٠-١٩٧هـ/٨٠٥- ٨١٢م) (٢٨٥)، فلم يترك ألفونسو الثاني هذه الفرصة وقام بحملات متوالية على الأراضي الإسلامية، واتسمت حملاته بأنها كانت ذات طابع ديني، إذ عرف هذا الملك بأنه كان شديد التعصب لدينه حتى أنه لقب بالعفيف(٢٨٦)، فعبر نهر دويرة والتاج، وتوغل في حملاته حتى قلمرية وأشبونة في غرب الأندلس لبعدها عن حكومة قرطبة وضعف وسائل الدفاع فيها (٢٨٧)، ولقد تنامي إلى الحكم ما يعانيه أهالي الثغور من المتاعب جراء غزوات النصارى، خصوصا ما نقله له الشاعر العباس بن ناصح الجزيري(٢٨٨)، عن متاعب الأسرى المسلمين، فأعلن الأمير الحكم النفير، وقاد الحملة بنفسه نحو وادي الحجارة سنة

(٢٨٤) لمزيد من التفاصيل أنظر: ناصر محمد بسيوني: السياسة الخارجية للدولة الأموية بالأندلس، ص ٢٢٥؛

(٢٨٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٤٥، ٣٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص١٦٢، ١٦٣؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٣، ٣٤.

(٢٨٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٤١.

(٢٨٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤٧؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص١٣٩.

(٢٨٨) العباس بن ناصح: كان من أهل العلم بالعربية واللغة والشعر، وله حظ في الفقه والرواية؛ ولي قضاء بلده شذونة، وكان رحل مع أبيه إلى مصر، وتردد في الحجاز طالبا للغة العرب، ولقي الأصمعي وغيره بالعراق، واجتمع بأبي نواس، وأذعن له بالفضل على نفسه، وانصرف إلى الأندلس، وكان مذهبه في شعره مذهب العرب الأول، وكان حافظاً لمذهب مالك، ومات بعد سنة(٢٣٣هـ/ ٨٤٧م). ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٣٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٣٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٤، =

= ص٢٣١؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان١٩٧٩م، ج٢، ص ٢٨؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٤٣.

(١٩٤هـ/٨٠٠م)، فأوغل فيها وهدم المعاقل والحصون، ويذكر أنه نجح في تخليصِ عددٍ من الأسرى المسلمين(٢٨٩).

فالردُ الإسلامي على هجمات النصارى كان متوقفاً على حجم التهديد النصراني للأراضي الإسلامية، واستقرار الأوضاع الداخلية، حيث أن التناحر بين المسلمين في الأندلس فرض واقعاً جديداً على شبه الجزيرة الأيبيرية، إذ أصبح المسلمون يسعون للحفاظ والذود عن أراضيهم، بعد أن كان هدف النصارى فيما قبل أن يحافظوا على مات بقي بأيديهم، وكان آخر لقاءٍ عسكري بين الأمير الحكم ونصارى الشمال سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٦م)، ثم انشغل بالقضاء على ثورة الربض (٢٠٢هـ/ ٨١٨م) ثم توفي بعد ذلك بسنوات قليلة(٢٩٠).

واتسم عهد خليفته عبد الرحمن الثاني (٢٠٦هـ/٢٣٨م/٨٢٢-٨٥٢م)، بالتشعب مع القوي الخارجية وأحسنَ التعامل معها على المستويين العسكري والدبلوماسي، وأنه في بداية عهده تحالف مع البشكنش في درء النفوذ الفرنجي عن الأندلس ونجحَ هذا التحالف في دحر الفرنجة سنة (٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) (٢٩١)، أصيب الفرنج بهزيمةٍ ساحقةٍ في أحواز بنبلونة، في سفح جبال البرنيه، عند باب شزروا، حيث نكب جيش شارلمان من قبل، ويبدو من أقوال الرواية الإفرنجية أن المسلمين كان لهم دورٌ كبيرٌ في إيقاع هذه الهزيمة. ذلك أن لويس ملك الفرنج أرسل قواته بقيادة الكونتين أزنار وإبلو لمهاجمة البشكنس وإخضاعهم، فاستغاث البشكنس بجيرانهم المسلمين، والظاهر أن الذي لبي نداء البشكنس هم بنو موسي أو بنو قسيّ

(٢٨٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٤٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤٧.

(٢٩٠) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٣١٨م؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٢٩١) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٣-١٧٤.

أصحاب تطيلة، وأن هذه المعاونة كانت بموافقة حكومة قرطبة، وعلى أي حال فقد أحرز المسلمون والبشكنس على الفرنج نصراً ساحقاً، وأسر القائدان أزنار وإبلو، ثم أطلق سراح الأول وأرسل الثاني إلى قرطبة حيث اعتقل بعض الوقت. وقد أثار هذا الحادث ذكريات موقعة باب شرزروا الكبري التي نكب فيها الفرنج أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، قبل ذلك بستة وأربعين عاماً (٢٩٢).

والذي يخصنا في هذا المقام القائد الثاني لجيش الإفرنج (إبلو) الذي اعتقل في قرطبة لبعض الوقت، فهل كان أسيرا، أما رهينة قيمة لدي عبد الرحمن الأوسط يمكن استخدمها في وقت معين أم سوف يتم مبادلته بالعديد من الأسرى المسلمين! فالصمت من قبل المصادر وكتّابات المؤرخين تمنعنا من حسم الأمر!

وبالرغم من انقطاع التلاحم العسكري بين جيوش قرطبة والجيوش الإفرنجية في المنطقة فترة من الزمن فإن العلاقات القائمة كانت عدائية، إذ لم يكف أي من الطرفين عن تشجيع حوادث التمرد في بلد الآخر (٢٩٣).

وعند استقرار الأحوال الداخلية في الدولة الأموية سعي الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى تسير الجيوش من قرطبة إلى مناطق النفوذ الفرنجي في شمال وشرق إسبانيا، فجرد جيشا إلى أطراف برشلونة في سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) بقيادة ابنه الحكم، وأمره بالتجول في جهات الثغور ليتعرف أخبارها، ودخل الحكم دار الحرب فقتل من المشركين مالا يحصي وأجتمع من

(٢٩٢)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٥٦؛ محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٣، ١٧٤.
(٢٩٣) جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ترجمة إسماعيل العربى، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٤، ص ١٣٣.

رءوسهم أكداس كالجبال حتى أن الفارس يقف من ناحية، فلا يري صاحبه من الناحية الأخرى من عظمها (٢٩٤).

ثم إن دولة الفرنجة انقسمت على نفسها فاندلعت الحروب في جوانبها إثر وفاة لويس التقي بن شارلمان سنة(٨٤٠هـ/٢٢٦م) (٢٩٥)، فحاول الأمير عبد الرحمن الأوسط الإفادة من ذلك في تدعيم موقف المسلمين ضد دولة الفرنجة وذلك بمساعدة الثائرين ضدهم في أملاكها الإسبانية (٢٩٦)، كما سير حملة إلى برشلونة سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) (٢٩٧)، بالإضافة إلى ذلك فقد رصد تحركات الفرنجة في البحر، وتغلب على أسطولهم في أكثر من موقعة ونشر قواته في عدد من الجزر في غربي البحر المتوسط (٢٩٨).

وتميزَ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بالنشاط النسبي في مجال حروبه مع نصارى الشمال (٢٩٩)، حيث وجه عام (٢٠٨هـ/٨٢٣م) أول حملة عسكرية نحو الشمال بقيادة عبد الكريم ابن عبد الواحد فاتجهت نحو ألبة والقلاع، فهزم جموع النصارى وخرب المدن والقرى واستولى على مخازن المؤن والذخائر مما أجبر حكام تلك المنطقة على دفع الجزية وإطلاق سراح الأسرى المسلمين (٣٠٠)

(٢٩٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٥.
(٢٩٥) فشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفي زيادة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م، ق١، ص ١٠٠، ١٠١.
(٢٩٦) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٧، ١٧٨.
(٢٩٧) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٥٧.
(٢٩٨) أرشبالد لويس: القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تلرجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د. ت)، ص ٩٩، ١٠٠.
(٢٩٩) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص٢٥١.
(٣٠٠) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

وكانت هناك بعض معاهدات الصلح تُفرض بعد الانتصارات التي يحققها أهل الأندلس على جليقية وبقية المناطق الأخرى، من ذلك مثلاً الصلح الذي فرضه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على الجلالقة، بعد أن غزاهم سنة (٢٠٨ هـ/٨٢٣ م) بغزوته المعروفة بغزاة ألبة والقلاع والتي كانت رداً على هجومهم على مدينة سالم في الثغر الأعلى. وكان من بنود هذا الصلح إطلاق سراح جميع الأسرى من الأندلس، ودفع جزيةٍ كبيرةٍ، وتسليم بعض زعماء المنطقة إلى الدولة ليكونوا رهائن، ضماناً لعدم اعتدائهم في المستقبل (٣٠١).

ولكن لم يحافظ أهل جليقية على الصلح حيث أغار ألفونسو الثاني ملك جليقية على مدينة سالم **Medinaceli** من أعمال الثغر الأعلى، وحذت حذوه بعض القبائل الجبلية من أهل بسكونية، فأغارت على أطراف الثغر وعاثت فيها، فاخترق الحاجب بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث، بسائط ألبة والقلاع، وهزم النصارى في عدة مواقع، وعاث في ألبة وخرب مدينة ليون وأحرق حصونها، واشترط على النصارى أن يدفعوا جزية كبيرة، وأن يطلقوا أسرى المسلمين، وأن يسلموا بعض زعمائهم كفالة بسكينتهم، وعاد الحاجب إلى قرطبة مثقلاً بالغنائم والسبي. سنة (٢٠٩هـ /٨٢٤م) (٣٠٢).

وباتخاذ القائد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، رهائن من زعماء أهل بسكونية يضمن عدم اعتدائهم مرة أخرى على المسلمين وعدم مساعدتهم للفرنجة وأنه قد يستخدم هؤلاء الزعماء فيما بعد بتبادل أسرى المسلمين، ولكن لم تكن هذه المعاهدات تُحْترم كثيراً من قبل

(٣٠١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤٧.
(٣٠٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٥٦.

أمراء الأسبان، بل كانت تُنقض في معظم الأحيان، خاصة إذا ما شعروا بقوتهم وضعف الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٣٠٣).

حيث نجد أنه في العام التالي (٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) تحرك جيش إسلامي نحو الشمال، لكنه لم يتخط الحدود الإسلامية، إذ فاجأ المرض قائد الجيش عبد الكريم بن مغيث وكان مرضه الذي توفي به، فعين الأمير مكانه القائد أمية بن معاوية بن هشام، الذي غزا بالصائفة إلى مدينة أوريط (٣٠٤) ثم تقدم نحو شنت بريه، وتدمير وذلك لكي يعمل على تهدئة الثورة في تلك المناطق، فلم تخرج هذه الغزوة خارج الحدود (٣٠٥).

وخرجت حملة سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) بقيادة حاكم جيان فرج بن مسرة (٣٠٦) فتوغل في المناطق الشمالية وأفتتح حصن القلعة أو القليعة وعاد منتصرا، فهذه الحملة لم تخرج من قرطبة(٣٠٧).

وخرجت العديد من الصوائف لمهاجمة نصارى الشمال (٣٠٨)، فكانت هذه الحملات تهدف لتدمير الحصون والقلاع والاستيلاء على ما تحتويه من ذخائر ومؤن، وبلا شك أن هذه

---

(٣٠٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٤٥.

(٣٠٤) مدينة أوريط: (Oreto): بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء وطاء مهملة مدينة بالأندلس بين الشرق والجوف، وهي مدينة قديمة، و مذكورة مع مدينة طليطلة، وهي معها في حدٍ واحدٍ من قسمة قسطنطين، وإنما عمرت قلعة رباح وكركي بخراب أوريط. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٩.

(٣٠٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٢ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام،ج١، ص٢٥٣؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٢١٠.

(٣٠٦) فرج بن مسرة بن سالم: (٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، سماه بن حزم فرج بن سالم ناسبا إياه إلى جده، وسالم المذكور هو بن ورعال بن وكذات المصمودي من موالي بني مخزوم وإليه تنسب مدينة سالم، أما حفيده الفرج بن مسرة فهو الذي تنسب إليه مدينة الفرج، التي كانت تسمي وادي الحجارة إحدى مدن الثغر الأوسط ؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٢٩.

(٣٠٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢١٥.

(٣٠٨) حيث خرجت حملة سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م) بقيادة عبيد الله البلنسي، الذي إستطاع تحقيق النصر على جيوش اشتريش قرب جبل المجوس في معركة وصفت بالكبيرة حتى أنه أطلق على الغزوة إسم غزوة الفتح، وفي نفس العام تمكن المسلمون بقيادة العباس بن عبد الله القرشي من مهاجمة مدينة جليقية والتوغل حتى بازو (Vizeu)، ثم خرجت صائفة أخرى عام (٢١٣هـ/ ٨٦٢م) بقيادة عبد الله البلنسي فجال في أرض العدو حتى بلغ برشلونة وظل ينتسف ويخرب بها ستين يوما، و توقفت الغزوات

الحملات ألحقت ضربات موجعة بالاقتصاد الإسباني الفقير، ولكن هذه الحروب الاقتصادية ضد الأسبان لها نتائجها السلبية على المسلمين إذ أصبحت الإغارة على الثغور الإسلامية من أجل السلب والنهب تشكل أحد أسباب الغني للنصارى مما زاد من متاعب قرطبة.

وقد حدثت بعض الاتفاقات بين إمارة نافار وعبد الرحمن الأوسط، وكانت هذه الإمارة قد بدأت بالتحرر من سيطرة الإفرنج وتدخلهم في شؤونها مما جعلها تتوجه إلى الأندلس لطلب العون والإسناد. ولهذا السبب فقد جاءت سفارة نافارية إلى بلاط عبد الرحمن الأوسط في قرطبة، وعقدت معاهدة بين الطرفين، تعهدت الدولة بموجبها بحماية نافار من أي اعتداء خارجي، مقابل مساعدة النافاريين لأهل الأندلس فيما إذا أرادوا عبور جبال ألبرت إلى فرنسا (٣٠٩).

ولم ترد نصوص تخبرنا عن أحوال الرهائن في هذه الفترة، فمن المحتمل أن أمراء الأندلس في هذه الفترة كانوا يستخدمون هؤلاء الرهائن وخصوصاً أنهم على قدر كبير من الأهمية في فداء الأسرى المسلمين حيث أن الحروب والمعارك لم تنقطع بين المسلمين في الأندلس والإمارات النصرانية في الشمال وكذلك اعتداءات الفرنجة المستمرة على الدولة الإسلامية ,حيثُ اهتمَّ الأمير هشام بفداءِ أسرى المسلمين ولم يبقَ في عهده منهم أحد في قبضةِ العدوِ (٣١٠).

ولم تستأنف إلا في عام (٢٢٣هـ/ ٨٦٢م) فأرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط ثلاث حملات متتالية إلى مملكة اشتريش . عنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٦١.

(٣٠٩) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٤٥.

(٣١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٠ ؛ عنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٩.